الفصل العاشر
مقتل عمر رضي الله عنه، واستخلاف عثمان، وأخبار عبد الرحمن في ذلك

كان عمر رضي الله عنه لا يأذن لمشركٍ بدخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو والٍ لعمر على الكوفة، فذكر له غلاماً مجوسياً صانعاً، واستأذنه في أن يدخل المدينة، وقال: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس، إنه حداد، ونقاش، ونجار، فأذن له عمر، وضرب عليه مئة درهم يؤديها كل شهر، فجاء إلى عمر يشتكي إليه شدةَ الخراج، فقال عمر: ماذا تُحسن من العمل؟ فذكر له الأعمال التي يُحسن، فقال له عمر: ما خراجك بكثير في كُنهِ عملك، فانصرف ساخطاً يتذمر، فلبث عمر ليالي، ثم إن العبد مر به، فدعاه، فقال: ألم أُحَدَّثْ عنك أنك تقول: لو شاء صنعتُ له رحىٰ تطحن بالريح؟ فالتفت العبد ساخطاً عابساً إلى عمر، ومع عمر رهط فقال: لأصنعنَّ لك رحى يتحدث عنها الناس. فلما ولَّىٰ العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه، وقال لهم: أوعدني العبد، فلبث ليالي ثم اشتمل أبو لؤلؤة – الغلام المجوسي – على خنجر ذي رأسين، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السَّحَر، فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة – صلاة الفجر – فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات، ثم انحاز على أهل المسجد، فطعن من يليه، حتى طعن سوىٰ عمر أحد عشر رجلاً، فطرح

عليه عبدالرحمن بن عوف خميصة – ثوباً – كانت عليه، فانتحر أبو لؤلؤة، ثمَّ حزَّ عبدالرحمن رأسه – وكان الوقت غلس السَّحر – ظلمته – وأمر عمرُ عبدَالرحمن أن يصلي بالناس، وحمله ابن عباس ورهط كانوا معه إلى بيته، وصلىٰ عبدالرحمن بالناس الفجر، وقرأ أقصر سورتين: النصر والكوثر، ثم جعل عمر يشتد به النزف، ويُغشىٰ عليه، وأدرك عمر، والناس أنه ميتٌ.

وكان مما قاله عمر في أمر الخلافة عند موته: إن الله يحفظ دينه، وإني لا أستخلف، فإن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم لم يستخلف، وإن أستخلف، فأبو بكر رضوان الله عليه استخلف، ثم إن عمر رضي الله عنه جعل الأمر بعده شورى بين ستة من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص. وقال لهم: يحضركم عبدالله بن عمر وليس من الأمر شيء.

ثمَّ إن عمر دعا أبا طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة، فقال له: كُن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورىٰ في بيت واحد ولا تترك أحداً يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يُؤَمِّروا أحدهم، وقم علىٰ رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبىٰ واحد، فاشدخ رأسه بالسيف وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبىٰ اثنان

فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً، فحكِّموا عبدالله بن عمر، فإن لم يرضوا بحكم ابن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، ولا يحضر اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم[1].

ثم حضرت جنازة عمر، وتبادر إليها عليٌّ، وعثمان كليهما يريدُ أن يصلي عليها، فقال لهما عبدالرحمن: ليس هذا لكما إنما هذا إلىٰ صهيب الذي أمره عمر بالصلاة بالناس، وقدَّم صهيباً، ثم أُنزل عمر في قبره، ونزل معه ابنه عبدالله مع عبدالرحمن بن عوف وعلي، وعثمان. ثم اجتمع أصحاب الشورىٰ في بيتٍ يحرسهم أبو طلحة واشتد الصخب بينهم، وعلت الأصوات، فقال لهم عبدالرحمن: ليجعل كل واحد منكم أمره إلىٰ أحد أصحابه، ففوّض الزبير أمره إلى عليّ، وفوّض سعد أمره إلى عبدالرحمن، وترك طلحة حقه إلى عثمان، ثم إن عبدالرحمن قال لعلي وعثمان: أيُّكما يخرج من هذا الأمر، فنفوِّضُهُ بتولية الأمر أفضل الرجلين الباقيين، فسكت علي وعثمان. فقال عبدالرحمن: فأنا أترك حقي من ذلك، والله عليَّ والإسلام أن أجتهد فأولي أولاكم بالحق، فقالا: نعم.

ثم خاطب عبدالرحمن كل واحدٍ منهما بما فيه من الفضل، وأخذ عليهما العهد والميثاق لئن ولاَّه ليعدلن، ولئن ولي عليه لَيَسمعن ولَيُطيعنَّ، فقال كل منهما: نعم.

---

(١) راجع البداية والنهاية ٥/٢٢٦، مناقب عمر ٢١٥-٢٢٠. أخبار عمر ٤٠٤، ٤٠٦. الطبقات الكبرى ٣/٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨.

ويروىٰ أنّ أهل الشورىٰ هم الذين اختاروا عبدالرحمن، وجعلوا الأمر إليه ليختار للمسلمين أفضلهم، ويوليه عليهم.

ثم نهض عبدالرحمن بن عوف يستشير الناس فيهما، ويجمع رأي المسلمين حتىٰ سأل النساء، والولدان، وسأل من يرد من الركبان والأعراب مدة ثلاثة أيام ولياليها، فأشار الجميع عليه بعثمان، إلا ما كان من عمار والمقداد فإنهما أشارا عليه بعلي، ثم سأل علياً: أرأيت إن لم أولِك بمن تشير؟ قال: بعثمان.

وكان عبدالرحمن أثناء ذلك لا يغتمض بكثير نوم، ويُكثر الصلاة والدعاء، ويستخير الله، فلما كانت ليلة اليوم الرابع من موت عمر جاء إلىٰ ابن أخته المسور بن مخرمة، فقال: فادع إليَّ علياً، وعثمان، فقال له: بأيهما أبدأ؟ فقال: بأيهما شئتَ، فذهب إلىٰ علي، ثم عثمان، فجاء بهما إلىٰ خاله وهو قائم يصلي فلما أتم صلاته أقبل على علي وعثمان، فقال: إني سألت عنكما الناس، فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً، ثم أخذ العهد على كل منهما لئن ولاه ليعدلن، ولئن وليهَ عليه ليسمَعَنَّ ولَيُطِيعَنَّ، ثم خرج بهما إلىٰ المسجد وقد لبس عبدالرحمن العمامة التي عمَّه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلّم بها، وتقلَّدَ سيفاً، وبعث إلىٰ وجوه الأنصار والمهاجرين، ونودي في الناس الصلاة جامعة، وتراصَّ الناس في المسجد حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس فيه، فتنحىٰ وجلس في أخريات الناس، ثم صعد عبدالرحمن

المنبر، فوقف طويلاً، ودعا دعاءً طويلاً بصوت خفيض لا يسمعه الناس، ثم تكلم فقال: أيها الناس، إني سألتكم سراً وجهراً فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي، وإما عثمان، فقم إليَّ يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر، فأخذ بيده، فقال عبدالرحمن: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة رسوله، وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال علي: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. ثم قال عبدالرحمن: **قم إليَّ يا عثمان، فأخذ بيده، فقال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله، وسنة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلّم، وفعل أبي بكر وعمر، قال: اللهم نعم. فرفع عبدالرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، فقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد خلعتُ ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، فازدحم الناس يبايعون عثمان، وبايعه علي ثم قام عثمان فيهم خطيباً، وعبدالرحمن جالسٌ علىٰ المنبر**[1].

ولا شك أن المهمة التي كانت ملقاة علىٰ عبدالرحمن في اختياره خليفةً يلي أمر المسلمين، كانت مهمة جليلةً، وأنه بذل جهداً كبيراً في استشارة العامة والخاصة، واستجماع أمره علىٰ اختيار عثمان رضي الله عنه.

هذا، وقد ذكر المؤرخون أخباراً مُنكرةً واهية عن خبر الشورىٰ واختيار عبدالرحمن لعثمان رضي الله عنهم جميعاً، وفيها من إساءة الظن بالصحابة،

(١) البداية والنهاية ٥/٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩.

ونسبتهم إلىٰ الحقد والتنافس علىٰ الإمارة ما تقشعِرُ منه الأبدان، ولا تقبله قلوب المؤمنين.

ولو أنَّ عبدالرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن يميل عن الحق أدنى الميل لِهوىٰ، أو حظ نفس، لَمَا كان خرج من الأمر كله وتنازل عن حظه من الخلافة.

obeikandl.com